

الشيخ أبو الحسن الندوي ودوره في أدب الأطفال الإسلامي

د. عارف قاضي*

ملخص:

مما لا شك فيه أن الكتابة للأطفال تعتبر من أصعب فنون الكتابة والتأليف فقد تجد كاتبها يتكلف الصياغة للطفل ويتعرق في اختيار الألفاظ ويدقق في المعاني ويحاول أن يسير غور وسير الأطفال، حتى يعبر عما يجول في نفوسهم من خلال قصة أو حكاية أو معلومة أو حتى طرفة.

وليس كل من كتب للكبار يستطيع أن يكتب للصغار فلقد فشل بعض كبار الكتاب في سرد قصة واحدة للأطفال ولعل الصعوبة في ذلك تنبع من عدم قدرة الأديب على فهم عالم الطفل وميوله ونفسيته. والكاتب يجب أن يضع نصب عينيه حاجات الطفل فيقدمها له في قالب راق مقنع له من جانب، ومحقق للأهداف المقصودة من جانب آخر. وقد استطاع الشيخ أبو الحسن الندوي أن يتغلب على هذا الهدف فكتب في هذا المجال ونبغ فيه لإدراكه أن هذا النوع من الفن جزء من فطرة الطفل، فبذل جهودا جبارة في ترويج الأدب العربي للأطفال بهدف تهذيبهم الخلفي وتربيتهم تربية صالحة، فقام بإعداد منهج دراسي إسلامي للأطفال.

هذه الدراسة تحاول إبراز أدب الأطفال في مختلف صورته الفنية وأجناسه الأدبية وعلى نفس الاتجاه الذي اعتاد أكثر من أدباء العرب سلكه وانتهجه في كتاباتهم ومؤلفاتهم، بما يتوافق مع ميولاتهم الفنية وكذلك مساهمة الشيخ أبي الحسن الندوي

* الأستاذ المساعد ورئيس قسم اللغة العربية وأدائها، الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا أنوني بورة

حين نادى في أوساط الأدباء والمبدعين بضرورة إقامة منهج إسلامي في الأدب يلتزم بتصورات الإسلام وغاياته ويرسم بأسلوب فني راق، وتعبير جميل ملامح الإسلام وأبعاده كدين وكعقيدة وكتشريع وينقل في قالب فني متعدد المناهل والفنون، التصور الإسلامي للإنسان والحياة والكون. يعتبر أيضا مساهمته في أدب الأطفال الإسلامي جزءا منه.

إن أدب الأطفال هو نوع من الفن الأدبي يشمل أساليب مختلفة من النثر والشعر بشكل خاص للأطفال والأولاد دون عمر المراهقة. بدأ تطور هذا النوع الأدبي في القرن السابع عشر في أوروبا وأخذ يزدهر في منتصف القرن العشرين مع تحسين أنظمة التعليم في جميع أنحاء العالم مما زاد من طلب المؤلفات المخصصة للأطفال بلغات مختلفة، ومع ظهور أدباء يكرسون معظم وقتهم لكتابة مؤلفات للأطفال.

أدب الأطفال هو نتاج اجتماعي وقوة اجتماعية. وقد أظهرت الدراسات أنه في كثير من الدول الهيئات الرقابية الحكومية تشكل الشكل والمضمون في الأدب لتقديمها للأطفال. يتألف أدب الأطفال من القصص المحكية والأغاني والقصائد التي كانت تستخدم لتعليم وإرشاد وتسلية الأطفال إلا أنه في القرن الثامن عشر مع تطور مفهوم الطفولة بدأ في الظهور مع أقسامها الخاصة.

كما بينت في الملخص أن الكتابة تعتبر من أصعب فنون الكتابة والتأليف فقد تجد كاتباً يتكلف الصياغة للطفل ويتقعر في اختيار الألفاظ ويدقق في المعاني ويحاول أن يسرغور الأطفال حتى يعبر عما يجيش في نفوسهم وأذهانهم من خلال قصة أو حكاية أو معلومة أو حتى طرفة. إن من الغرائب أن بعض أفضل كتاب أدب الأطفال هم من المغمورين بل بعضهم لا يتجاوز أن يكون قد اكتشف قدرته في هذا المجال فجأة دون سابق قصد أو معرفة. إن أديب الطفل ينبغي أن يكون فنانا في الدرجة الأولى ذا حس مرهف وقدرة مبدعة على الابتكار صبورا يستطيع أن يقيم جسورا قوية مع الأطفال.

لقد كان لترسيخ الأدب الإسلامي في مسار الأدب العربي مع بدايات القرن

العشرين دور جليل في تطور الأدب العربي وتنوع مسالكه وتعدد مذاهبه حيث أفضت البوادر الأولى للأدب الإسلامي إلى تحقيق إضافات هامة ساهمت في البداية بإعادة صياغة المفهوم الحقيقي للأدب العربي الملتزم من جهة وأدت إلى إحداث تجديد وتغيير على مستوى البنية الفنية لفنون الأدب العربي من حيث مواضيعه وروافده من جهة أخرى والفضل يعود في ذلك إلى نخبة متميزة من الكتاب الأوائل الذين حملوا على عاتقهم التعريف بهذا النوع من الأدب عبر مختلف كتاباتهم التمهيدية الأولى حول الأدب الإسلامي "والتي بدأها ونبه إليها الشيخ الندوي حين اختير عضواً في المجتمع العلمي العربي بدمشق، حيث دعا إلى إقامة أدب إسلامي ثم كتابات الأستاذ سيد قطب في الدعوة إلى أدب إسلامي متميز وتلاه الأستاذ الكبير محمد قطب في كتابه منهج الفن الإسلامي ثم كتاب الدكتور نجيب الكيلاني في الإسلامية والمذاهب الأدبية ثم الدكتور رافت الباشا مع سلسلة التأليفات القيمة باسم صور من حياة الصحابة حيث كتب في مقدمة نفس الكتاب مقتطفات مما نشر في كتاب "دليل مكتبة الأسرة المسلمة" للدكتور عبد الحميد أحمد أبو سليمان الصادر عن المعهد العالي للفكر الإسلامي، فقال: "قرص المؤلف على اختيار اللمحات المعبرة، والعبارات الموجزة والعرض المختصر واستخدام أسلوب السرد القصصي غالباً وجمع بين الحقيقة التاريخية والبلاغة الأدبية فكان مشرق البيان، متين العبارة يتوخى الألفاظ الفصيحة، ويشرح في الهامش ما يمكن أن يستعصي منها على فتیاننا وفتياتنا ويهتم بضبطها ويضع علامات الوقف بدقة ويوزع حديثه في فقرات متسلسلة ويثبت في خاتمة كل فصل قائمة بالمراجع لمن شاء أن يستزيد من أخبار الصحابي" ١ ثم جاءت بعد خطوة الدكتور عماد الدين خليل الرائد في هذا الطريق في كتابه النقد الإسلامي المعاصر" ٢، وقد ساعدت هذه الأعمال العلمية الجليلة في صياغة نسق إبداعي يتلاءم مع

١ د. عبد الرحمن رافت باشا، مكتبة إحسان لکناؤ الهند، سنة النشر ٢٠١٠م، ص: ٢.

٢. عمر عبيد حسنة، مدخل إلى الأدب الإسلامي. ص: ٧.

خصوصيات المجتمع العربي المسلم، وثقافته وعقيدته فراح حينئذ الأدب الإسلامي يرسم أولى معالمه وفق منهج يلتزم بتصورات الإسلام وغاياته، ويرسم بأسلوب فني راق، وتعبير جميل، ملامح الإسلام وأبعاده كدين وكعقيدة وكمناهج، وينقل في قالب فني متعدد المناهل والفنون، والتصوير الإسلامي للإنسان والحياة والكون، فهو كما يقول عماد الدين خليل "تعبير جمالي مؤثر بالكلمة" عن التصور الإسلامي للوجود^١ ويقول محمد قطب "هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام لهذا الوجود"^٢.

من ثم أخذ الأدب الإسلامي منذ ذلك الوقت، يترسوم ويرسم طريقا موازيا مع حركة الأدب وتطوراته، إلى أن أصبح أدبا مستقلا، ولما كان أدب الأطفال جزءا من الأدب عامة والأدب الإسلامي خاصة، كان من الطبيعي أن يتماها أدب الأطفال في نسيج الأدب الإسلامي وحبكته الفنية وضوابطه الشرعية الملتزمة، ويستوحى منه الكثير من الخصائص والمميزات، التي تتناسب مع خصوصية الطفل المسلم الذي يشترط في نموه النفسي والفكري، والروحي، الكثير من الشروط الضرورية حتى نضمن له نموا سليما وصحيحا ومتوازنا.

يمثل أدب الأطفال الإسلامي رافدا من روافد التيار الإسلامي وأحد تجلياته الفنية التي جعلت من أدب الأطفال العام أدبا متخصصا، يلتزم بمعايير الإسلام ومبادئه ويسير وفق تصوراته ولا يحيد عنها و" هو نوع من الكتابة الدينية المتخصصة الموجهة للأطفال، رمي إلى وصل الطفل بالله عز وجل ونشر القيم الإسلامية في عقول الأطفال، وتهيئة نفوسهم لأن يكونوا مسلمين صالحين"^٣. غير أن هذا التصور لمفهوم أدب الأطفال الإسلامي لا يعني كما يراه البعض أنه أدب مقتصر على المواعظ،

١. عماد خليل مدخل إلى النظرية في الأدب، الرسالة، ط: ١٩٢٩، ص: ٢٩.

٢. محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ص: ٨٢.

٣. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الأدب الإسلامي للأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة، ط-١-١٩٩٧م، ص: ٢٣.

والخطب الحماسية المرتجلة وأدب دعوة فقط، وإنما هو فن يقوم على التعبير الجميل والتصوير الفني البديع، والأسلوب الرقيق، الذي يعكس رقة شعور الأطفال ورهافة أحاسيسهم فهو أدب يدفع إلى المتعة، وإلى تنمية الذوق وتغذية العواطف المستقيمة، في صورة مشوقة لا تتعارض مع مبادئ الإسلام وتعاليمه وأهدافه" فالأديب المسلم مدعو أكثر من غيره إلى أن يبلغ قمة الروعة في الأداء الفني حتى يكون أدبه شرارة توقظ القلوب بحرارة التجربة ولهيب الإبداع، ونورا يسير على سناه المسلمون ليخرجوا من تيه الضياع"^١. وفي ظل هذا المفهوم تتجلى معالم أدب الأطفال الإسلامي وحدوده، التي تميزه عن سابقه في مراعاته حاجات الأطفال وقدراتهم، بما يتلاءم مع دينهم فهو أدب تربوي وديني بالدرجة الأولى، وليس أدبا ترفهيا كما يحصره البعض في أبعاده التي يسعى إلى تحقيقها، فهو أدب يصنع المتعة ويخلق روح التفاعل بين النص الأدبي والقارئ الطفل، في جو تحيط به عناية الإسلام بما يتضمنه من مبادئ وتعاليم وضوابط لينشأ الطفل المسلم ووجدانه مشبعاً بأنفاس الحضارة الإسلامية وكيانه مهياً لمعيشة واقع الحياة الإسلامية، سلوكاً وتعليماً وتربية ومشاركة مسؤولة في ميادين الحياة العلمية، وكل كتابة للأطفال لا تنطلق من هذا المنظور فهي كتابة تفتقد للرؤية الصحيحة للوجود، وتكتفي بالتسلية الوقتية للطفل ولا تعنى بمستقبله ومستقبل حضارته^٢.

لا يختلف اثنان في العارفين بالإسلام أن سلوك الأدب للمنهج الإسلامي في الطرح، والعرض والتعبير والتصوير الفني كان ضروريا وهاما في إعادة هيكلة النص الأدبي العربي هيكلية صحيحة تراعي الأصول والثوابت، وتتوافق مع الغايات والمقاصد " فلم يكن للعمل الأدبي أن يجد صعوبة في مناداة الإسلام ومسايرته ولم يكن له

١. صابر عبد الدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، دار الشروق، ط-١ ٢٠٠٢م، ص:٢٤٢.

٢. صابر عبد الدايم، الأدب الإسلامي: ص:٢٠٤.

عائقا عن أن يجد تحقيقا لأهدافه في تصوير جوانب الحياة المتلائمة مع الإسلام" ١ بل بالعكس فقد وجد الأديب ضالته في ظل مفاهيم الإسلام للحياة والكون والإنسان وتصوراتها التي تتوافق تماما مع البناء الفكري والعقدي والنفسي لشخصية المسلم، كما تعددت فوق هذا مواضيع الأدب وانتعشت توجهاتها برؤيا جديدة سارة واقع القارئ المسلم في حياته، وتطابقت مع منطلقاته العقلية والروحية، ولما كان كذلك كان ملائما جدا أن يتمثل البعد الديني والإسلامي في سائر النصوص الأدبية الموجهة للطفل العربي على وجه التحديد، في القصة والرواية والمسرحية والشعر، حتى يستقي الطفل عبرها ما يحتاجه، وهو في بداية نموه العقلي والروحي لاسيما " في مرحلة تفتح الوعي التي تلامس مرحلة الفتوة، وهي أخطر مرحلة في حياة الطفل، تتأسس فيها مفهوماته وتتجذر قيمه" ٢ وهي مرحلة حساسية جدا يعتاد فيها الطفل وبشكل دائم إلى رعاية وعناية في كافة شؤونه البدنية والنفسية والاجتماعية، وليست هناك واسطة ناجحة بعد الأسرة في رعاية الطفل والعناية به كالأدب " بالأدب تنمو القلوب وتزكو وليس غداء الطعام بأسرع في نبات الجسد من غداء الأدب في بناء العقل، بالأدب تعمر القلوب وبالعلم تستحكم الأحلام" ٣، بشرط أن تتناغم مضامينه وغاياته مع متطلبات الطفل، وقدراته العقلية وانتماءاته الدينية والعقدية مع مراعاة المستويات اللغوية والإدراكية عندما يقوم المبدع بالتأليف أو المعالجة للطفل في سائر ألوان التعبير الأدبي له، ومن ثم يرقى بلغتهم وخيالاتهم ومعارفهم واندماجهم في الحياة، بهدف التعلق بالأدب وفنونه لتحقيق الوظائف التربوية والأخلاقية والفنية والجمالية، ٤ فالأدب الإسلامي هو أدب صادق في دلالاته وقيم الإسلام ومبادئه،

١. سيد عبد الماجد الغوري، العلامة أبو الحسن الندوي رائد الأدب الإسلامي، دار ابن كثير

دمشق، بيروت، ط-١-٢٠٠٩م، ص: ٣٠.

٢. سيد عبد الماجد الغوري، العلامة أبو الحسن الندوي رائد الأدب الإسلامي، ص: ٥٦.

٣. ابن المقفع، آثار ابن المقفع، دار مكتبة الحياة بيروت، ص: ٢١٨.

٤. أحمد زلط، أدب الطفولة أصوله مفاهيمه روى تراثية، الشركة العربية للنشر والتوزيع،

ويجعل منها أساسا لبناء كيان الطفل المسلم نفسيا وعقليا وسلوكيا ويسهم في تنمية مدارك الطفل وإطلاق مواهبه وقدراته الفكرية.

إن الطفل ثمرة الغد، وشاب المستقبل، والأمل المنشود الذي بصلاحه صلاح المجتمع، وقوة للأمة ونصر لها في طريق النهضة والعزة والمجد. وبهذا يحل الطفل مكانا مرموقا. وحاجة الأطفال إلى كتب ثلاثم طبائهم وأعمارهم جعلت بعض الناشرين فكروا في اقتباس الأساطير والحكايات الشعبية والدينية وتبسيطها اعتقادا منهم أنها ستسد الثغرات. أما في القرن التاسع عشر عرف مفهوم أدب الأطفال، وازدهر في القرن العشرين، فبرزت مجلات الأطفال وانتشرت كتبهم وراجت برامجهم في الإذاعة والشاشة. أمسى "أدب الأطفال" منذئذ مستقلا وميدانا خاصا يستمد أصوله من: معرفة الطفل نفسه معرفة عميقة، ومعرفة البيئة التي يعيش فيها هذا الطفل ومن ماضي الطفل، ومن القدرة على التنبؤ، ومن الإيمان بمستقبل الأمة التي ينتمي إليها.

تعددت الأقوال والآراء حول مفهوم أدب الأطفال، ذهب بعضهم إلى أنه هو نوع من الفن الأدبي يشمل أساليب مختلفة من النثر والشعر المؤلفة بشكل خاص للأطفال والأولاد دون عمر المراهقة. فالطفولة مرحلة من الحياة تمتد من الولادة إلى سن المراهقة، ولها خصائصها التي تنمو مع نمو الطفل نفسه وهو النمو الذي يشمل النواحي الجسمية والنفسية والخلقية والانفعالية والاجتماعية والإبداعية.

والناشئة الإسلامية والأطفال المسلمون كما يقول الشيخ الندوي أحوج من كل ناشئة وجيل في سن الحداثة إلى قصص وحكايات، فهم حب الخير والفضيلة والبطولة والتضحية والجهاد والشهادة في سبيل الله، وإيثار الآخرة على الدنيا، والعزوف عن سفساف الأمور، وفضول الحياة والحب لله وللرسول وأصحابه وأتباعه، والذين بذلوا أنفسهم في سبيل الله.^١

ط٢، ١٩٩٤م.

١. أبو الحسن علي الحسيني الندوي: قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م الناشر دار وحي القلم بيروت، لبنان، ص: ٥.

اعتمد الشيخ الندوي أساسا في مؤلفاته نحو أدب الأطفال على المصادر التراثية في التاريخ الإسلامي، منها: سيرة ابن هشام، وزاد المعاد لابن القيم، وصحيح البخاري، والكمال في التاريخ لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير... وإذا كان الشيخ قد ظهرت لديه موهبة الخطابة، فقد نمت وتجلت بفضل اتصاله بشيخه محمد إلياس الذي التقى به في دلهي، وقد أعجب الشيخ الندوي به: خاصة في توجهه للجماهير، وارتحاله إليهم، وحسن استقبالهم لخطبه، وتأثيره العظيم فيهم^١. فنتيجة لعصارة هذه المناهل، كتب الشيخ الندوي للكبار، وللناشئة وللأطفال، ومن أهم ما ألفه للأطفال " قصص النبيين للأطفال" ثم " قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال" فالأخير هو الذي نحن بصدده في هذه الأوراق. لقد اقتنع الندوي أن القصص والحكايات إذا كانت على مستوى عقول الأحداث والأطفال، وفي اللغة التي يفهمونها بسهولة، ويسبقونها، ويتذوقونها، كانت مدرسة للأطفال، يتعلمون فيها المبادئ، والأخلاق الفاضلة، والدوافع النبيلة، والمشاعر الكريمة والرقيقة من غير أن تثقل عليهم، ومن غير سامة وملل^٢. وفيما يلي أهم ركائز يقوم عليها أدب الأطفال الإسلامي لدى الشيخ الندوي:

الركيزة الأولى: الجانب اللغوي والتعليمي:

اهتم الندوي باللغة العربية أي الاهتمام عند أدبه مع الطفل، تراه في جملة المتينة، وترابطها يدل على متانتها، حتى تكاد أن تكون قصصه موسوعة طفل غنية بمفردات اللغة العربية. وتراه في ألفاظه السهلة بعيدة كل البعد عن الألفاظ الغريبة. فإن وجدت -مع ندرتها- شرحت في الهوامش. وتتصف المعاني لدى الندوي بالعذبة، فهي خصبة بالروح الإسلامية.

١. د. محمد رجب البيومي: أبو الحسن الندوي سيرة ذاتية منقولا من ملامح قصة الأطفال

الموجهة للدكتور سعد أبو الرضا، ص: ١١٢.

٢. أبو الحسن علي الحسيني الندوي: قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال، الطبعة الأولى،

٢٠٠٤م.

الركيزة الثانية: إشعال جذوة الصلة بالقرآن الكريم:

يظهر خلال قراءة كتاب قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال، أن الندوي عميق الصلة بالقرآن الكريم، مستحضرا لآياته في كل موقف، مبينا لدرر سوره في كل وقفة، محسنا الاستشهاد بها غاية الإحسان، وله ذوق متفرد في فهم الآيات. استمع إليه وهو يقول: "وبعث الله العنكبوت فنسجت ما بين الغار والشجرة التي كانت على وجه الغار، وسترت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر، وأمر الله حمامتين وحشيتين، فأقبلتا تدفان حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما) الفتح. ومن حسن استشهاد الندوي قوله تعالى (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) التوبة . ٤٠^١ بعد أن بيّن الله كيف حفظ الله سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبا بكر الصديق رضي الله عنه في موضوع عنوانه " الله خير حافظا وهو أرحم الرحمين". لقد أحسن الندوي عرضا لموضوع "المضيف الجائع" حيث صور الإيثار الذي خلّده أبو طلحة وأهله أم سليم في ضيافة ضيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبهج هذا العرض بالآية الكريمة: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الحشر ٢٩^٢

إن الشيخ الندوي يوثق الصلة بالقرآن الكريم، ولا غرو في ذلك فهو كتاب الخلود، ودستور الإسلام وعمدة الملة، وينبوع العقيدة، وأساس الشريعة. لذا استشهد المؤلف بالآية: (فلا تعلم ما أخصي لهم من قرن أعين جزاء بما كانوا يعملون) السجدة ١٧^٣ لا ينحصر جمال الندوي على الاستشهادات بالآيات القرآنية فقط بل يتعداه إلى

١. أبو الحسن علي الحسيني الندوي: قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال، الطبعة الأولى،

٢٠٠٤م الناشر داروحي القلم بيروت، لبنان، ص: ١٩.

٢. المؤلف السابق، المرجع السابق، ص: ٩-١٠.

٣. المؤلف السابق، المرجع السابق، ص: ٤٣.

تضمن مقالاته بالآيات القرآنية فيلوح ذلك في مثل قوله ... وكان يوم بدر يوم الفرقان، وكان يوما على الكافرين عسيرا ... يوما فرّق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان يوما ابيضت فيه وجوه المسلمين واسودت وجوه المشركين.^١

الركيزة الثالثة: إشعال جذوة الصلة بالسنة والسيرة النبوية:

كانت كتابات الندوي مليئة باهتمامه بالحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية العطرة باعتبار السنة مبينة القرآن وشارحته نظريا وباعتبار السيرة هي التطبيق العملي للقرآن الكريم، ومنها يتجلى القرآن مجسدا في بشر من كان خلقه القرآن، ويتجلى الأسوة الحسنة التي نصيها الله للناس عامة، وللمؤمنين خاصة. تصفحنا للندوي كتاباته في أدب الأطفال نرى لهذا الاتجاه محاورا كثيرة من مثل ما ورد من الصحيحين: (جتكم من عند خير الناس) ذلك الحديث الذي رسمه الندوي في موضوع: "الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين". حيث بين كيف ولد الرسول في مكة وقضى حياته فيها ثم هاجر إلى المدينة المنورة، وكيف تعامل مع الكفار بروح السماحة إلى حد أن خلّى الرسول سبيل من قبضه وتمكن منه. وأما القصص المستنبطة من السيرة النبوية فحدث ولا حرج، منها عناوين: "بارك الله لكم في أموالكم... فلا حاجة لنا فيها"، "ومن دون أحد" و"المضيف الجائع" و"رسالة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم" فالحوادث فيها تتعلق بالنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، والوقائع تلتصق بها، والمواقف لها علاقة وطيدة به. صاغها الندوي بصيغة جميلة، وبعبارة جياشة، تثير في النفوس ما لقيه الرسول والصحابة من أنواع الأذى، وما تحمله هو وصحابته رغبة في نيل رضا الرب ومجانبة سخطة... صلوات ربي وسلامه على محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين أجمعين.

الركيزة الرابعة: التربية الإسلامية الصحيحة عبر استيعاب التاريخ الإسلامي وبطولاته:

أظهر الندوي في أدبه للطفل أن التربية الإسلامية تستمد من الإسلام: عقيدة

١. المؤلف السابق، المرجع السابق، ص: ٢٦.

وشريعة وقيما وأخلاقا، ووجه ألا يستمد المسلمون فلسفتهم من الغرب ولا من الشرق، وإنما يؤمن بالله ربا خالقا، وإلهاً معبودا، واليقين بالأخرة، دارا للجزاء، ثوابا وعقابا، في مواجهة المادية الطاغية، التي تجحد أن للكون إلهاً يديره ويحكمه، وأن في الإنسان روحا هي نعمة من الله -وأن وراء هذه الدنيا آخرة.^١

لقد أولى الندوي جانب التربية اهتماما بالغا، لأنها هي التي تصنع أجيال المستقبل والتهاون فيها تهاون في الثروة البشرية للأمة، ولا سيما تاريخنا الإسلامي-لاستهياض الأمة من كبوتها، فالتاريخ هو ذاكرة الأمة، ومخزن عبرها، ومستودع بطولاتها. فالندوي بحسه المرهف استطاع أن يقحم كل ذلك في أدب الطفل ليثبت أفكارا. وذلك باختيار العناوين المناسبة، تشد انتباه القارئ، فالعنوان عامل جذب للقارئ فمتى يكتب النجاح للقصة يكون اختيار العناوين أحد أهم عناصر نجاحها. فالعنوان هو المفتاح الذي يدل على ماهية القصة. والندوي بارع في استخدام العناوين بما يناسب ذلك الحدث، فيغرس فيه مبدأ إسلاميا أو رمزا أو فكرة إسلامية أو خلقا إسلامية. نحاول أن نستعرض ذلك لنبين حسن اختياره للعناوين:

من مثل: "مسابقة بين شقيقين" نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلا"، "زهة أكبر حاكم في عصره"، "لا حاجة إلى ذكر اسمي"، "جواب كان السبب في إسلام مئات ألوف من الناس"، "رجال صدقوا ما عهد الله عليه"

لقد ساعد الندوي في هذا المسير اعتماده على المصادر التراثية في التاريخ الإسلامي، وفضل اتصاله بشيخه محمد إلياس، الذي التقى به في دلهي، وكذلك بفضل طريقتة في الدعوة إلى الله، وعرضه للأدلة وبسطها وسلامة ترتيبها. فالندوي كان خطيبا داعية، أو داعية خطيبا، إذ يغلب على قصصه أسلوب الخطيب الداعية

١. يوسف القرضاوي: ركائز الفقه الدعوى أبي الحسن الندوي من "الشيخ أبو الحسن الندوي": بحوث ودراسات أعدت بمناسبة تكريمه في المؤتمر الرابع للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية العام ١٩٩٦م، والمنعقد في إستانبول الطبعة الأولى عام ٢٠٠٢م دار البشير، ومؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ص: ٣١.

وهو مما يجلي فكرة القصة الموجهة لديه.^١

الركيزة الخامسة: إحياء روح الجهاد في سبيل الله:

هو تعبئة قوى الأمة النفسية للدفاع عن ذاتيتها ووجودها، وإيقاد شعلة الحماسة للدين في صدور الأمة، التي حاولت القوى المعادية للإسلام إخمادها، ومقاومة روح البطالة والقعود، والوهن النفسي، الذي هو حب الدنيا وكراهية الموت. يهيب الندوي بالأطفال أن يعرفوا أهمية الجهاد في سبيل الله ومكانته. أورد في أدب الطفل نماذج كثيرة لذلك فمثلا ساق قصة شقيقين هما قتلا أبا الجهل يوم بدر. فالشقيقان هما: معاذ بن عفراء، ومعوذ بن عفراء من الأنصار. وفي موضوع الحنين إلى الشهادة، ذكر الندوي قصة عمير بن أبي وقاص، وعمره ست عشرة سنة الذي حزن حزنا شديدا لمنعه الرسول للمشاركة في الجهاد لحدائثة سنه. بل بكى بكاء حارا، ثم أجازه الرسول ففرح، وخاض الغزوة التي ابتلى منها بلاء حسنا، فقد قتل شهيدا في تلك الغزوة! وذكر الندوي تنافس الغلمان في الجهاد والشهادة، مثل رافع بن خديج وسمرة بن جندب بعد أن روى لنا قصة اشتياقهم إلى الخوض في الغزوات، ختم الموقف بقوله: رضي الله عن رافع وسمرة ورزقنا اتباعهم!!! وفي موضوع: "من دون أحد" و"رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه" قصص تشرح أهداف الجهاد في سبيل الله وأغراضه، وروايات تمجد الأبطال الأوائل والشهداء المقربين، وتنفخ في هذه الروح ويهيب بالأمة أن تنتقص للذود عن حماها" وتقوم بواجب الجهاد بكل مراتبه ومستوياته حتى تكون كلمة الله هي العليا.

١. سعد أبو الرضا: ملامح قصة الأطفال الموجهة في مجموعة قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال لأبي الحسن الندوي من بحوث ودراسات أعدت بمناسبة تكريمه في المؤتمر الرابع للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية العام ١٩٩٦م، والمنعقد في إستانبول الطبعة الأولى عام ٢٠٠٢م دار البشير، ومؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ص: ١١٢-١١٣.

أما الملك الناصر السلطان صلاح الدين الأيوبي فهو معجزة من معجزات الإسلام الخالدة، ذلك الشجاع الذي دخل بيت المقدس، حيث عادت هذه القبلة الأولى إلى حضانة الإسلام. وكان من تقدير العزيز العليم أن السلطان دخل بيت المقدس في نفس التاريخ-أي شهر رجب-الذي أكرم الله فيه النبي صلى الله عليه وسلم بالمعراج. لقد تحققت هذه العودة المرجوة المتوقعة بفضل الجهاد في سبيل الله.

خاتمة:

أسهم الشيخ أبو الحسن الندوي في مؤلفاته المتنوعة منها قصص النبيين وقصص من التاريخ الإسلامي والقراءة الراشدة وسيرة خاتم النبيين في تعزيز القيم الأدبية والتربوية الأصلية الإسلامية في نفوس الجيل الجديد. نحن نشم كل الجهود المبذولة في ذلك على ضعف الإمكانيات وقلة الوسائل والتسهيلات في زمانه إذا قيست بوقتنا الحاضر ولكنه تسلح بسلاح الإيمان والعلم مستلهما في مشواره عزيمة المؤمن التي لا تعرف معنى الكلل والضعف أو الهزيمة والهوان فنشكر الله لشيخنا ما قدم ونسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه في فسيح جناته مع المتقين والأبرار، وحسن أولئك رفيقا.